

الرياح

عناصر الموضوع

٨	مفهوم الرياح
٩	الرياح في الاستعمال القرآني
١٠	الألفاظ ذات الصلة
١١	الرياح آية من آيات الله
١٤	صفات الرياح
١٩	منافع الرياح
٢٧	الرياح جند من جنود الله تعالى
٣١	الرياح في المثل القرآني

مفهوم الرياح

أولاً: المعنى اللغوي:

إن أصل الياء في كلمة الريح واو (روح)، ثم قلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها، وأصل مادة (روح) تدل على سعة وفسحة واطراد^(١).

والريح: نسيم الهواء، وكذلك نسيم كل شيء^(٢)، وهي مؤنثة وتصغيرها رويحة، والريح مفرد، ويجمع تكسيراً في الكثرة على رياح، وفي القلة على أرواح^(٣).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

لا يختلف معناها الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، الذي يعني: الهواء المتحرك^(٤).

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٢/ ٤٥٤.

(٢) لسان العرب، ابن منظور ٢/ ٤٥٥.

(٣) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري ٥/ ١٣٩.

(٤) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٤٢١.

الرياح في الاستعمال القرآني

وردت (الرياح) في القرآن الكريم (٢٩) مرة^(١).
والصيغة التي وردت، هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
مفرد	١٩	﴿وَلَسُلَيْمَنَ الرِّيحَ غُدُوهاَ شَهْرٌ وَرَوْاحُهاَ شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢]
جمع	١٠	﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]

وجاءت الرياح في القرآن على ثلاثة أوجه^(٢):
أحدها: الشدة والقوة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَزِعُوا أَنْفُسَكُمْ وَتَدَبُّرٌ بِرِيحِكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]،
يعني: قوتكم وشدتكم.
الثاني: ريح العذاب: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [القمر: ١٩]، يعني:
عذابًا.

الثالث: ريح الخير والرحمة، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرْسَلْنَا أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَتٍ وَلِيَذِّقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾
[الروم: ٤٦].

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص ٣٢٦، المعجم المفهرس
الشامل، عبد الله جلغوم، ص ٥٩٥.

(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص ٢٣٢.

الألفاظ ذات الصلة

١ الهواء:

الهواء لغة:

هو الجو ما بين السماء والأرض، والجمع الأهوية^(١).

الهواء اصطلاحًا:

لا يخرج عن معناه اللغوي، ويمكن أن يعرف تعريفًا علميًا ويقال: غاز يغلف الكرة الأرضية ويتكون من الأوزون والأكسجين وغازات قليلة أخرى والجو^(٢).

الصلة بين الهواء والريح:

الهواء أصل الرياح؛ إلا أنه ساكن في مكانه فمتى ما تحرك صار رياحًا أو ريحًا.

٢ الإعصار:

الإعصار لغة:

قال الزجاج: «الإعصار الرياح التي تهب من الأرض وتثير الغبار فترتفع كالعمود إلى نحو السماء، وهي التي تسميها الناس الزوبعة، وهي ريح شديدة لا يقال لها إعصار حتى تهب كذلك بشدة»^(٣).

الإعصار اصطلاحًا:

لا يخرج عن معناه اللغوي، يقول الزمخشري عن معنى لفظ الإعصار: «هي الرياح التي تستدير في الأرض، ثم تسطع نحو السماء كالعمود»^(٤). ويقول الطوسي أيضًا: «الإعصار: غبار يلتف بين السماء والأرض كالنفث في الثوب في العصور»^(٥).

الصلة بين الإعصار والريح:

الإعصار نوع من أنواع الرياح القوية، وليس كل ريح إعصارًا.

(١) لسان العرب، ابن منظور ٣٧٠ / ١٥.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١٠٠١ / ٢.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٥٧٨ / ٤.

(٤) الكشف ٣٤١ / ١.

(٥) التبيان في تفسير القرآن ٣٤٢ / ٢.

الرياح آية من آيات الله

لله عز وجل في هذا الكون آيات كثيرة لا تعد ولا تحصى، تدل دلالة واضحة على وحدانيته وقدرته وعظمته وحكمته، ومن هذه الآيات آية الريح، وهي خاضعة لأمر الله وتقديره، فهو المتصرف في أحوالها، ومن تلك الأحوال:

١. إرسال الريح.

قال عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم: ٤٦].

أي: ومن دلالات بديع قدرته إرسال الريح مبشرات بالمطر لأنها تتقدمه^(١).
ويذكر تعالى نعمه على خلقه في إرسال الريح مبشرات بين يدي رحمته بمجيء الغيث عقبها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾، أي: المطر الذي ينزله فيحيي به العباد والبلاد^(٢).

ومن الأدلة الدالة على رحمته وبعثه الموتى وأنه الإله المعبود والملك المحمود، ﴿أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ﴾ أمام المطر ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ بإثارتها للسحاب ثم جمعها فتبشّر بذلك النفوس قبل نزوله^(٣).

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ

الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا فَقَالَ سُقْنَاهُ لِيَلِدَ مِمَّنِّي فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣].

٢. إسكان الريح.

قال عز وجل: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلَنَّ رَوَاكِدٌ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: ٣٣].

فمن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانه، تسخير البحر؛ لتجري فيه الفلك بأمره وهي: الجواري في البحر كالأعلام، أي: كالجبال، قاله مجاهد والحسن والسدي والضحاك، أي: هذه في البحر كالجبال في البر، ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ أي: التي تسير في البحر بالسفن لو شاء لسكنها حتى لا تتحرك السفن، بل تبقى راكدة لا تجيء ولا تذهب، بل واقفة ﴿عَلَى ظَهْرِهِ﴾، أي: على وجه الماء، ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي: إن في تسخير البحر وإجرائه الهوى بقدر ما يحتاجون إليه لسييرهم لدلالات على نعمه

(١) فتح القدير، الشوكاني ٢٦٤/٤، محاسن التأويل، القاسمي ١٩/٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٨٩/٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٦٤٣.

تعالى على خلقه، ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أي: في الشدائد، ﴿شَكُورٍ﴾ في الرخاء^(١).

وإنها لتركد أحياناً فتهمد هذه الجواري، وتركد كما لو كانت قد فارقتها الحياة! ﴿لَئِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ في إجرائهن وفي ركودهن على السواء آيات لكل صبار شكور، والصبر والشكر كثيراً ما يقتربان في القرآن، الصبر على الابتلاء والشكر على النعماء وهما قوام النفس المؤمنة في الضراء والسراء^(٢).

فما شاء الله كان، وسبحان من جعل في ذلك آية، وما يذكر إلا من وفقه الله.

٣. تصريف الرياح.

قال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْآيَاتِ لِكُلِّ عَبْدٍ بِمَا يَفْعَلُ وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَيَّنَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقوله عز وجل:

﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّةٍ مَّا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يُوَفِّقُونَ﴾ (٤) ﴿وَإِنْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ مَّا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يُوَفِّقُونَ﴾ (٥)

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٩١/٧، وانظر: محاسن التأويل، القاسمي ٣٧١/٧.
(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٣١٥٩/٥.

يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ [البقرة: ٣-٥].

وزعم بعض أهل العربية أن معنى قوله: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾، أنها تأتي مرة جنوباً وشمالاً وقبلاً ودبوراً، ثم قال: وذلك تصريفها^(٣)، وهذه الصفة التي وصف الرياح بها، صفة تصريفها لا صفة تصريفها، لأن (تصريفها) تصريف الله لها، (وتصريفها) اختلاف هبوبها.

وقد يجوز أن يكون معنى قوله: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾، تصريف الله تعالى ذكره هبوب الرياح باختلاف مهابتها... فأما معنى قوله: ﴿لَآيَاتٍ﴾، فإنه علامات ودلالات على أن خالق ذلك كله ومنشئه، إله واحد لمن عقل مواضع الحجج، وفهم عن الله أدلته على وحدانيته، فأعلم تعالى ذكره عباده، بأن الأدلة والحجج إنما وضعت معتبراً لذوي العقول والتمييز، دون غيرهم من الخلق، إذ كانوا هم المخصوصين بالأمر والنهي، والمكلفين بالطاعة والعبادة، ولهم الثواب، وعليهم العقاب^(٤).

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾ فهذه العبارة الموجزة في كلماتها وراءها حقائق علمية رائعة، فهذه الرياح التي هي الهواء المتحرك فوق غلاف الأرض الجوي إنما تتحرك بتأثير حرارة الشمس التي تجعله يخف

(٣) انظر: ما قاله الفراء في معاني القرآن ٩٧/١.
(٤) جامع البيان، الطبري ٢٧٦/٣.

الثاني: خلقه الناس.

الثالث: خلقه الدواب.

الرابع: اختلاف الليل والنهار.

الخامس: إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض به.

السادس: تصريف الرياح.

وذكر أن هذه الآيات والبراهين، إنما يتفهم بها المؤمنون، الموقنون الذين يعقلون عن الله حججه، وآياته؛ فكأنهم هم المختصون بها دون غيرهم؛ ولذا قال: ﴿لَا يَنْتَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ثم قال: ﴿إِنِّي لَقَوْمٌ يُوقِنُونَ﴾، ثم قال: ﴿إِنِّي لَقَوْمٌ يُوقِنُونَ﴾.

وهذه البراهين الستة المذكورة في أول هذه السورة الكريمة، جاءت موضحة في آيات كثيرة جداً كما هو معلوم^(٣).

وهذا يدل دلالة واضحة على أن الرياح آية عظيمة وجند قوي من جنود الله تعالى.

وفي الرياح من العبر: هبوبها وسكونها ولينها وشدتها واختلاف طبائعها وصفاتها ومهابتها وتصريفها وتنوع منافعها وشدّة الحاجة إليها... وهي مع غاية قوتها ألطف شيء وأقبل المخلوقات لكل كيفية سريعة التأثير والتأثير، لطيفة المسارق بين السماء والأرض، إذا قطع عن الحيوان الذي على وجه الأرض هلك كبحر الماء الذي إذا فارق حيوان الماء هلك، يحبسها الله سبحانه

ويرتفع ويحل محله هواء بارد ثقيل يندفع نحو منطقة الضغط المنخفض بنظام دقيق، فيه تصريف للرياح وتوجيه لها في هبوبها من مكان إلى مكان معين، وينشأ عن حركة الرياح نتائج لها أهميتها في حياة الناس فهي تسوق السحاب المطرة إلى الأرض المجذبة، وتساعد السفن الشراعية في سيرها، وتحمل اللقاح إلى النباتات النامية وتوزع الحرارة والبرودة في دورات منتظمة على الأرض وغير ذلك من حكمة الله في تصريف الرياح... وقد أثبت العلم الدورة الهوائية على سطح الكرة الأرضية وكيف يكون تصريفها من جهة إلى أخرى^(١).

ويرشد تعالى خلقه إلى التفكير في آلائه ونعمه، وقدرته العظيمة... وما أنزل الله تبارك وتعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه، وسماه رزقاً لأن به يحصل الرزق فأحيا به الأرض بعد موتها أي بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء^(٢).

وذكر جل وعلا في هذه الآيات الكريمة، من أول سورة الجاثية ستة براهين، من براهين التوحيد الدالة على عظمته وجلاله، وكمال قدرته:

الأول: منها خلقه السماوات والأرض.

(١) انظر: القرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل إبراهيم ٩٥/١، موسوعة الإعجاز العلمي، النابلسي ٧٠/٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٤٣/٧.

(٣) أضواء البيان، الشنيطي ١٧٩/٧.

صفات الرياح

ذكر العلماء كما تقدم معنا حالات للرياح إذا كانت ملازمة لها سميت باسمها، وقد وردت في ثنايا القرآن الكريم صفات خاصة بعضها للرياح والبعض الآخر للريح، ويمكن أن نتحدث عنها كما يلي:

أولاً: صفات الرياح:

١. المبشرات.

وأصل البشارة الخبر السار والبشور من الرياح التي تبشر بالمطر^(٣)، فهو الخبر الصدق السار الذي ليس عند المخبر به علمه، ووجود المبشر به وقت البشارة ليس بلازم^(٤).

وقد مر معنا ذلك كقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِّقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: ٤٦].

وقوله عز وجل: ﴿أَمْ نَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ أَلْوَىٰ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣].

فالبشر جمع البشير؛ لأن الرياح تبشر بإتيان المطر بعدها فهي بشير المطر... فإجراء الريح وانتشارها من ههنا وهاهنا أمام

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٥٨/١.
(٤) الكليات، الكفوي ص ٣٥٥.

إذا شاء ويرسلها إذا شاء، تحمل الأصوات إلى الأذان والرائحة إلى الأنف والسحاب إلى الأرض الجزر، وهي من روح الله تأتي بالرحمة، ومن عقوبته تأتي بالعذاب، وهي أقوى خلق الله كما رواه الترمذي في جامعه من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لما خلق الله الأرض جعلت تميد؛ فخلق الجبال فقال بها عليها فاستقرت؛ فعجبت الملائكة من شدة الجبال وقالوا: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد، قالوا: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم النار، قالوا: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم الماء، قالوا: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم الريح، قالوا: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم ابن آدم تصدق بصدقة يمينه يخفيها عن شماله)^(١)... والمقصود أن الرياح من أعظم آيات الرب الدالة على عظمته وربوبيته وقدرته^(٢).

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب التفسير، الباب الأخير، ٣١٤/٥، رقم ٣٣٦٩.

وضعه الألباني في مشكاة المصابيح، رقم ١٩٢٣.

(٢) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم ص ١٧٣.

ثانيًا: صفات الريح:

١. صرصر.

وريح صرصر شديدة البرد وشديدة الصوت معًا^(٦).

وقد جاء ذكرها في قوله عز وجل:
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَّحْسُوتٍ
لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾^(٧)
[فصلت: ١٦].

واختلف أهل التأويل في معنى الصرصر، فقال بعضهم: عني بذلك أنها ريح شديدة... وقال آخرون: بل عني بها أنها باردة... وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد، وذلك أن قوله: ﴿صَرْصَرًا﴾ إنما هو صوت الريح إذا هبت بشدة، فسمع لها^(٨).

وكذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَّخَسِ مَسْمَرٍ﴾^(٩)
[القمر: ١٩]، أي: شديدة جدًا^(١٠).

وقوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَافْتَلَحُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾^(١١) [الحاقة: ٦]، أي: شديدة العصف والبرد عاتية أي: متجاوزة الحد المعروف في الهبوب والبرودة^(١٢)، فظهر أن أهم معنى لهذه الصفة هو الشدة.

(٦) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٤٨٢، الكليات، الكفوي ص ٨٩٤.
(٧) جامع البيان، الطبري ٤٤٤/٢١.
(٨) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٢٦.
(٩) محاسن التأويل، القاسمي ٣٠٩/٩.
(١٠) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٣٢٧.
(١١) الكليات، الكفوي ص ٧٣١.
(١٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٠٨.
(١٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٤٥/٥.

المطر مبشرة به من غرائب صنعه وعجائبه، ومن عظام نعمه على خلقه^(١٣).

٢. الذاريات.

وذرت الريح تذروه وتذريه^(١٤)، يعني: الريح تذرو التربة وغيره^(١٥).

وقد ورد ذكرها في قوله عز وجل:
﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا﴾^(١٦) [الذاريات: ١].

والمراد بالذاريات: هي الرياح التي تذروا، في هبوبها ﴿ذَرَوْا﴾ بليتها، ولطفها، ولطفها وقوتها، وإزعاجها^(١٧).

وبين أن هذا الذرو من فعل الرياح فقال عز وجل: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾^(١٨) [الكهف: ٤٥].

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ﴾ يا محمد للناس ﴿مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في زوالها وفنائها وانقضائها، ﴿كَمَا أَزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾، أي: ما فيها من الحب، فشب وحسن، وعلاه الزهر والنور والنضرة، ثم بعد هذا كله أصبح هشيمًا يابسًا ﴿تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾، أي: تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال^(١٩).

(١) العذب النмир، الشنقيطي ٤١٥/٣.

(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٣٢٧.

(٣) الكليات، الكفوي ص ٧٣١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٠٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٤٥/٥.

٢. عاصف.

عصفت الريح تعصف عصفوفاً وأعصفت وهي عاصف وعاصفة: اشتدت (١).

وورد ذكر الريح بهذه الصفة في قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

أخبر تعالى أنه ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾، أي: يحفظكم ويكلؤكم بحراسته، ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾، أي: بسرعة سيرهم رافقين فينما هم كذلك؛ إذ ﴿جَاءَتْهَا﴾ أي: تلك السفن، ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾، أي: شديدة، ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ (٢).

وقوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الصَّلَٰلُ الْعَبِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

ومشهد الرماد تشتد به الريح في يوم عاصف مشهود معهود، يجسم به السياق معنى ضياع الأعمال سدى، لا يقدر أصحابها

على الإمساك بشيء منها، ولا الانتفاع به أصلاً، يجسمه في هذا المشهد العاصف المتحرك، فيبلغ في تحريك المشاعر له ما لا يبلغه التعبير الذهني المجرد عن ضياع الأعمال وذهابها بدداً (٣).

وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَسُلِّمْنَا رِيحٌ عَاصِفَةٌ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١] والمعنى: وسخرنا لسليمان الريح عاصفة أي: شديدة الهبوب تجري بأمره يعني: بأمر سليمان إلى الأرض التي باركنا فيها وهي أرض الشام... والمعنى: أنها كانت تسير به إلى حيث شاء، ثم تعود به إلى منزله بالشام (٤).

٣. قاصف.

انقص الشيء انكسر وبان (٥)، والقاصف الريح الشديدة التي تقصف الشجرة وتكسرها، وكذلك البناء وغيره (٦).

وقد ورد ذكر هذه الصفة للريح في قوله عز وجل: ﴿أَفَأَمْسَتْ أَنْ تَنْخِفَ بِكُمْ جَانِبَ اللَّيْلِ أَوْ يُرْسَلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [١٨].

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/ ٢٠٤٩.

(٤) زاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ٢٠٤.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧٤٠/ ٢.

(٦) انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى ٨/ ٢٩٠، لسان العرب، ابن منظور ٩/ ٢٨٣.

(١) انظر: المخصص، ابن سيده ٤١٥/ ٢، الكلبيات، الكفوي ص ١٠٤٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٢٢٦.

اللقاح^(٤)، والريح العقيم: التي لا يكون معها لقح، أي لا تأتي بمطر، إنما هي ريح الهلاك^(٥)، فلا تلقح سحاباً ولا شجراً^(٦).

ووردت هذه الصفة للريح في قوله عز وجل: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾^(٧) مَا تَذَرُونَ شَيْءٌ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّيْمِ^(٨) [الذاريات: ٤١-٤٢].

وهي وإن ذكرت معرفة، فالمعروف نكرة؛ لأن تلك الريح منكّرة كأنه يقول: وأرسلنا الريح التي لم تكن من الرياح التي تقع ولا وقع مثلها فهي لشدتها منكّرة^(٩)، يعني التي لا خير فيها ولا بركة، فلا تلقح شجراً ولا تحمل مطراً^(٨).
٦. السكون.

وهو ثبوت الشيء بعد تحرك^(٩)، ومنه قوله عز وجل: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلَنَّ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ [الشورى: ٣٣]، أي: يسكن الريح التي تجري بها السفن، فيظللن أي: السفن، رواكد أي: سواكن ثابته على ظهر

أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا يُخَذُّوْا لَكُمُ عَلَيْهَا بِرَءٌ نَّبِيْعًا ﴿٦٨﴾ [الاسراء: ٦٨-٦٩].

أي: يقوي دواعيكم لركوب البحر تارة أخرى؛ فيرسل عليكم قاصفاً من الريح، أي: ريحا شديدة لا تمر بشيء إلا قصفته؛ فتكسر السفينة وسط البحر فيغرقكم بما كفرتم^(١).
٤. مصفراً.

الصفرة: لونٌ من الألوان التي بين السّواد والبياض، وهي إلى السّواد أقرب، ولذلك قد يعبر بها عن السّواد^(٢).

ووردت هذه الصفة للريح في قوله عز وجل: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾^(٣) [الروم: ٥١].

يقول تعالى: ولئن أرسلنا ريحا يابسة على الزرع الذي زرعه ونبت وشب واستوى على سوقه، فرأوه مصفراً، أي قد اصفر وشرع في الفساد لظلوا من بعده، أي بعد هذا الحال، يكفرون، أي يجحدون ما تقدم إليهم من النعم^(٣).

٥. عقيم.

العقيم: التي لا يستفاد منها، وهو ضد

(٤) لسان العرب، ابن منظور ٥٧٩/٢.

(٥) انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى ١٨٩/١.

(٦) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٥٧٦.

(٧) مفاتيح الغيب، الرازي ١٤٨/٢٨.

(٨) انظر: لباب التأويل، الخازن ١٩٦/٤، زاد المسير، ابن الجوزي ١٧٢/٤، معالم التنزيل، البغوي ٣٧٦/٤.

(٩) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٤١٧.

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٢٩١/٣، محاسن التأويل، القاسمي ٤٧٦/٦.

(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٤٨٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٩٠/٦.

البحر^(١).

المعروف^(٧).

ثالثاً: صفات أخرى:

٢. حرور.

١. سموم.

والسموم: الريح الحارة التي تؤثر تأثير السّم^(٢)، والسموم بالنهار، وقد تكون بالليل^(٣)، وهي: الريح الحارة... تكون غالباً بالنهار والحر الشديد النافذ في المسام^(٤).

الحرور الريح الحارة وهي بالليل كالسموم بالنهار^(٨).

وقد ذكرت هذه الصفة في قوله عز وجل: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ^(٩) وَلَا الظُّلُمُتُ وَلَا النُّورُ^(١٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ^(١١)﴾ [فاطر: ١٩-٢١].

وقد ذكرت كصفة للريح التي تأتي من حر جهنم أعاذنا الله برحمته منها، وذلك في قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْهِمْ وَأَوْقَعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ^(١٢) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ^(١٣)﴾ [الطور: ٢٧-٢٨].

والحرور الريح الحارة بالليل، وقد تكون بالنهار^(٩)، والقول في ذلك: أن الحرور يكون بالليل والنهار، غير أنه في هذا الموضع... أشبه مع الشمس؛ لأن الظل إنما يكون في يوم شمس، فذلك يدل على أنه أريد بالحرور: الذي يوجد في حال وجود الظل^(١٠).

وقد تستعمل السموم في لفح البرد، وهي في لفح الحر والشمس أكثر^(٥)، أي: العذاب الحار الشديد حرّه^(٦)، وأصله: اسم للريح التي تهبّ من جهة حارة جداً فتكون جافة شديدة الحرارة، وهي معروفة في بلاد العرب تهلك من يتشقّقها، وأطلق هنا على ريح جهنم على سبيل التقريب بالأمر

(١) فتح القدير، الشوكاني ٦١٦/٤.

(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني ٢٤٢/١.

(٣) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري ٢٢٤/١٢.

لسان العرب، ابن منظور ٣٠٢/١٢.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٤٥١/١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٧٠/١٧.

(٦) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨١٥.

(٧) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٥٧/٢٧.

(٨) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري ٢٧٥/٣.

المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٢٢٤.

لسان العرب، ابن منظور ١٧٧/٤.

(٩) محاسن التأويل، القاسمي ١٦٥/٨.

(١٠) جامع البيان، الطبري ٤٥٧/٢٠.

ساقها لإحياء بلد ميت قد عفت مزارعه،
ودرست مشاربه، وأجذب أهله^(٣).

يضاف إلى ذلك قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ
الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ
وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾^(٤٨) لِنُخْشِيَ بِهِ
بَلَدَهُ مَيِّتًا وَنُشْقِيَهُ، وَمَا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَنَاسِيًا
كَثِيرًا^(٤٩) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَكَّرُوا
فَأَيُّ أَكْثَرِ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا^(٥٠)

[الفرقان: ٤٨-٥٠].

وهذا أيضًا من قدرته التامة وسلطانه
العظيم، وهو أنه تعالى يرسل الرياح
مبشرات، أي: بمجيء السحاب بعدها،
والرياح أنواع في صفات كثيرة من التسخير،
فمنها ما يثير السحاب، ومنها ما يحمله،
ومنها ما يسوقه، ومنها ما يكون بين يدي
السحاب مبشراً، ومنها ما يكون قبل ذلك
يقم الأرض، ومنها ما يلقي السحاب ليمطر،
ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨] أي: آلة يتطهر بها
كالسحور والوقود وما جرى مجراهما، فهذا
أصح ما يقال في ذلك^(٤).

وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾^(٥١) [فاطر: ٩].
فالإثارة: رفع الشيء المستقر وقلبه بعد

منافع الرياح

جعل الله عز وجل في الريح بعض
المنافع للناس، ومن تلك المنافع:

١. الرياح سبب حمل المطر لإحياء
الأرض الميتة.

قال عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ
الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ
سَحَابًا ثِقَالًا سَقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ
فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الأعراف: ٥٧].

قرأه أكثر السبعة: ﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾
بالجمع، وقرأه بعض السبعة: ﴿يُرْسِلُ
الرِّيحَ﴾ بالإنفراد، وعلى قراءة الأفراد
فالمراد الجنس، فلا تنافي قراءة الأفراد قراءة
الجمع^(١).

ومعنى هذه القراءات يرجع إلى النثر،
الذي هو خلاف الطي، فكأن الريح مع
سكونها كانت مطوية ثم ترسل من طيها
فتصير كالمنفتحة^(٢).

أي: إن ربكم المدبر لأموال الخلق، هو
الذي يرسل الرياح بين يدي رحمته، أي:
بين الأمطار وأمامها حال كونها مبشرات
بها، فينشئ بها سحاباً ثقالاً لكثرة ما فيها
من الماء، حتى إذا أقلتها ورفعتها إلى الهواء

(١) العذب النمير، الشنيطي ٢٣/١.

وانظر: إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي
ص ٢٧٧.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ٢/٢٧٧.

(٣) تفسير المراغي ٨/١٨٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/١٠٤.

استقراره، أي: تسوقه وتدفعه من مكان إلى مكان، وأطلقت الإثارة هنا على قلب تراب الأرض بجعل ما كان باطنًا ظاهرًا وهو الحرث^(١).

وإذ قد كان القصد من الاستدلال هو وقوع الإحياء وتقرر وقوعه جيء بفعل الماضي في قوله: ﴿أَرْسَلَ﴾، وأما تغييره إلى المضارع في قوله: ﴿فَتَنْبِئُ سَحَابًا﴾ فلحكاية الحال العجيبة التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وهي طريقة للبلغاء في الفعل الذي فيه خصوصية بحال تستغرب وتهم السامع^(٢).

وجاء به على جهة المضارعة والاستقبال بين فعلين ماضيين، وهما قوله: ﴿أَرْسَلَ﴾ و﴿فَسَقَتْهُ﴾، والسر في مثل هذا، هو أن الفعل المستقبل يوضح الحال، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن الإنسان يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي إذا عطف؛ لأنه لا يعطي هذا المعنى ولا يدل عليه، فإذا قال ﴿فَتَنْبِئُ﴾، على جهة الاستقبال بعد ما مضى قوله: ﴿أَرْسَلَ﴾. فإنما يكون دالاً على حكاية الحال التي تقع فيها إثارة الرياح للسحاب، واستحضر لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة^(٣).

فكانت الرياح التي تؤثر في هذا المطر معينة له في إحياء الأرض بعد موتها، حيث قال عز وجل: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرَنَا بِهِ بَلَدَهُ مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّمَا طَلَعَ نَبْذِيدُ ۝ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَهُ مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ٩-١١].

٢. الرياح سبب لجريان الفلك في البحر وغيره.

من النعم العظيمة التي من الله عز وجل بها على عباده نعمة جريان الفلك في المياه بأمره^(٤).

والفلك: السفينة، ويستعمل ذلك للواحد والجمع^(٥)، وجاء عن مجاهد أنها السفن في البحار^(٦).

ومن الآيات التي تحدثت عن ذلك صراحة، قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرْنَ بِيَمٍ يَبْرِجُ طَيْفَبَرٌ وَقَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَقَلَّبُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهَا

(٤) وهذا الأمر: أمر قدرى كوني.

انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٦٤٣.

(٥) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٦٤٥.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٣٠٩٣/٩.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٥٧/٢١.

(٢) المصدر السابق ٢٦٨/٢٢.

(٣) الطراز لأسرار البلاغة، يحيى بن حمزة ٧٤/٢.

مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾

[يونس: ٢٢].

وهذه نعمة عظيمة أن كانت الريح سبباً لجريان الفلك، فإن الإنسان إذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود، حصل له الفرح التام والمسرّة القويّة^(١)؛ فالذي أجرى الفلك في البحر لنيل الخير هو الريح الطيب، ولو اشتد بهم لكان به الهلاك. وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: ٤٦]، أي: ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ﴾ بهذه الرياح^(٢).

وقد وردت آيات أخرى امتن الله عز وجل بها على عباده؛ بأن جعل الفلك تجري بهم؛ لينالوا منافعهم في البر والبحر، ويعلم بها أن الفلك لا تجري إلا بمساندة الريح لها وذلك في قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلُكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢]. ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ أي: تعيشون به، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلُكَ﴾ أي: السفن

﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ أي بإرادته ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾ أي: فتجري حيث

تشاؤون من شرب وسقي وسواهما^(٣). وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَغْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَكْرَى الْفُلُكَ مَوَاقِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

﴿وَتَكْرَى الْفُلُكَ﴾ أي: السفن والمراكب ﴿مَوَاقِرَ فِيهِ﴾ أي: تمخر في البحر العجاج الهائل بمقدمها حتى تسلك فيه من قطر إلى آخر، تحمل المسافرين وأرزاقهم وأمتعتهم وتجاراتهم التي يطلبون بها الأرزاق وفضل الله عليهم^(٤).

وقوله عز وجل: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْسِلُ لَكُمْ الْفُلُكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [الإسراء: ٦٦].

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [٣١] ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْآلِينَ فَلَمَّا بَحَثْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَسَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣١-٣٢].

أي: ليريك بعض آياته، وهو جري السفن في البحر بالريح^(٥)، وقوله عز

(٣) محاسن التأويل، القاسمي ٦/ ٣١٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٣٧.

(٥) فتح القدير، الشوكاني ٤/ ٢١٨.

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ١٧/ ٢٣٢.

(٢) معالم التنزيل، البغوي ٦/ ٢٧٥.

وجل: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [فاطر: ١٢]؛ لأن المصلحة تقتضي أن تكون الأنهار عذبةً فاراتاً، سائغاً شربها، ليستفع بها الشاربون والغارسون والزارعون، وأن يكون البحر ملحاً أجاجاً، لئلا يفسد الهواء المحيط بالأرض بروائح ما يموت في البحر من الحيوانات؛ ولأنه ساكن لا يجري، فملوحته تمنعه من التغير، ولتكون حيواناته أحسن وألذ^(١).

وقوله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٣٨﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر: ٧٩-٨٠].

وعلى الأنعام، وعلى السفن تحملون على هذه في البر، وعلى هذه في البحر^(٢)، وقوله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الحج: ١٢].

يذكر تعالى نعمه على عبده فيما سخر لهم من البحر ﴿لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ﴾ وهي السفن فيه بأمره تعالى؛ فإنه هو الذي أمر البحر

بحملها ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: في المتاجر والمكاسب، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: على حصول المنافع المجبوبة إليكم من الأقاليم النائية والآفاق القاصية^(٣).

وقد ثبت علمياً أن كل المراكب التي تستخدم كافة أنواع الوقود، وتحرك بالمراجل البخاري، يمكن أن تتوقف تماماً؛ إذا توقفت الرياح؛ لأن وسيلة احتراق هذا النوع من الطاقة هي غاز الأوكسجين الموجود في الرياح^(٤).

٣. الرياح سبب لتلقيح السحاب والنبات.

من المنافع التي ذكرها القرآن الكريم في حديثه عن الرياح، تلقيح السحاب لإنزال المطر وتلقيح النبات لإخراج الثمر، وذلك كما في قوله عز وجل: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢].

واختلف أهل العربية في وجه وصف الرياح باللقح، وإنما هي ملقحة لا لاقحة، وذلك أنها تلقح السحاب والشجر، وإنما توصف باللقح الملقوحة لا الملقح... والصواب من القول في ذلك عندي: أن الرياح لواقح كما وصفها به جل ثناؤه

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٢٤٤.

(٤) انظر: إيجاز البيان في إعجاز القرآن، فؤاد البنا ص ١١٤.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٦٨.

(٢) جامع البيان، الطبري ١٩/ ٢٤.

[فاطر: ٩].

وقوله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم: ٤٨].

إن الحقائق التي ذكرتها آيات القرآن الكريم عامة وما يتعلق منه بتأثير الرياح في إنشاء السحب وتلقيحها وتشكيلها، ثم نزول المطر أو البرد منها، هذه الحقائق من أعجب الأمور وأدقها... والأصل في تكوين السحب على اختلاف أنواعها وأشكالها إنما هي الرياح.

وحقيقة أخرى أشارت إليها الآية الكريمة: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢].

فقد حملها كثير من المفسرين على أن الرياح اللواقح تلقح النباتات فتحمل الطلع من الذكر إلى الأنثى فتلقح بويضاتها، والحقيقة أن هذا الأمر مما يتحقق بواسطة الرياح، إلا أن سياق الآية في هذا المقام لا يحتمل ذلك بل يشير إلى حقيقة أخرى أدق وهي تلقيح السحب.

وقد توصل العلم الحديث إلى أن نمو السحب ونزول المطر يتطلب أن تلقح الرياح هذه السحب... وعلى هذا النحو عرف الناس الآن أن الآية الكريمة إنما تشير

من صفتها، وإن كانت قد تلقح السحاب والأشجار، فهي لاقحة ملقحة، ولقحها: حملها الماء، وإلقاحها السحاب والشجر: عملها فيه^(١).

ومعنى الإلقاح: أن الرياح تلقح السحاب بالماء بتوجيه عمل الحرارة والبرودة متعاقبين، فينشأ عن ذلك البخار الذي يصير ماءً في الجو ثم ينزل مطراً على الأرض؛ وأنها تلقح الشجر ذي الثمرة بأن تنقل إلى نوره غبرة دقيقة من نور الشجر الذكر فتصلح ثمرته أو تثبت، وبدون ذلك لا تثبت أو لا تصلح... ومن بلاغة الآية إيراد هذا الوصف لإفادة كلا العاملين اللذين تعملهما الرياح، وقد فسرت الآية بهما، واقتصر جمهور المفسرين على أنها لواقح السحاب بالمطر^(٢).

وقد أثبت العلم الحديث أن من وسائل تلقيح النبات الرياح؛ لأنها تنقل الملقحات من عضو التذكير النباتي إلى عضو التأنيث النباتي^(٣).

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسَقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٨٥/١٧، أضواء البيان، الشنقيطي ٢٦٧/٢.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٤/١٨.

(٣) انظر: مباحث في علوم القرآن، القطان ص ٢٨١.

إلى تلقيح الرياح للسحب ببخار الماء... لكي تجود بالمطر^(١).

فتأمل كم سخر للسحاب من ريح حتى أمطر، فسخرت له الميثرة أولاً فتشيره بين السماء والأرض، ثم سخرت له الحاملة التي تحمله على متنها كالجمال الذي يحمل الراوية، ثم سخرت له المؤلفة فتؤلف بين كسفه وقطعه، ثم يجتمع بعضها إلى بعض فيصير طبقاً واحداً، ثم سخرت له اللاقحة بمنزلة الذكر الذي يلحق الأنثى فتلقحه بالماء ولولاها لكان جهاماً لا ماء فيه، ثم سخرت له المزجية التي تزجيه وتسوقه إلى حيث أمر فيفرغ ماءه هنالك، ثم سخرت له بعد إعصاره المفرقة التي تبثه وتفرقه في الجو فلا ينزل مجتمعاً ولو نزل جملةً لأهلك المساكن والحيوان والنبات، بل تفرقه فتجعله قطراً، وكذلك الرياح التي تلحق الشجر والنبات ولولاها لكانت عقيمة. وكذلك الرياح التي تسيير السفن ولولاها لوقفت على ظهر البحر، ومن منافعها أنها تبرد الماء وتضرم النار التي يراد إضرامها، وتجفف الأشياء التي يحتاج إلى جفافها، وبالجمله فحياة ما على الأرض من نبات وحيوان بالرياح؛ فإنه لولا تسخير الله لها لعباده لذوي النبات ومات الحيوان وفسدت

المطاعم وأتنت العالم وفسد.

ألا ترى إذا ركدت الرياح كيف يحدث الكرب والغم الذي لو دام لأتلف النفوس، وأسقم الحيوان وأمراض الأصحاء وأنهك المرضى وأفسد الثمار وعفن الزرع وأحدث الوباء في الجوف؛ فسبحان من جعل هبوب الرياح تأتي بروحه ورحمته ولطفه ونعمته^(٢).

٤. تسخير الرياح لسليمان عليه السلام.

من المنافع المهمة التي ذكرت في القرآن الكريم عن الرياح، المنفعة العظيمة التي كانت لنبي الله سليمان عليه السلام وذلك من تمام النعمة والملك الذي وهبه الله عز وجل إياه.

وسليمان عليه السلام هو: سليمان بن داود... بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، ورث عن أبيه الملك والنبوة^(٣).

وقد ميّزه الله عز وجل بملك خاص عن سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، يوضح ذلك حديث عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن عفريناً من الجن تفلت علي الباردة - أو كلمة نحوها - ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله

(١) انظر: مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم ص ١٩٥-١٩٦.

(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم ١/ ٢١٧.

(٣) انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير ٢/ ٢٨٤.

شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ
الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ
مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾
[سبأ: ١٢].

غدوها إلى انتصاف النهار مسيرة شهر،
ورواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة
شهر^(٥)، فهي تسير في اليوم الواحد مسيرة
شهرين^(٦).

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ
أَصَابَ ﴿٣﴾﴾ [ص: ٣٦]، ليست بالعاصف ولا
باللينة بين ذلك، ومطبعة له حيث أراد^(٧).

وسخّر له الريح بدلاً من الأفراس، فلا
يحتاج في إمساكها إلى العلف والمؤن^(٨).
تنبيه: اعلم أن في هذه الآيات التي ذكرنا
سؤالين معروفين:

الأول: أن يقال: إن الله وصف الريح
المذكورة في سورة الأنبياء بأنها عاصفة،
أي: شديد الهبوب، ووصفها في سورة
(ص) بأنها تجري بأمره رخاء، والعاصفة
غير التي تجري رخاء.

والسؤال الثاني: هو أنه في سورة الأنبياء
خص جريها به بكونه إلى الأرض التي
بارك فيها للعالمين، وفي سورة (ص) قال:

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري ٣٦٢/٢٠،
محاسن التأويل، القاسمي ١٨٣/٨.

(٦) زاد المسير، ابن الجوزي ٤٩٢/٣.

(٧) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٩٣/٤.

(٨) لطائف الإشارات، القشيري ٢٥٧/٣.

منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري
المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم،
فذكرت قول أخي سليمان: رب هب لي
ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، قال روح:
«فرده خاسئاً»^(١).

ومن ما جاء في حديث القرآن الكريم
عن الريح التي سخرها الله عز وجل لنبيه
سليمان عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَلَسُلَيْمَنَّ
الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنبياء: ٨١].

أي: وسخرنا لسليمان الريح في حال
كونها عاصفة، أي: شديدة الهبوب... تطيعه
وتجري إلى المحل الذي يأمرها به^(٢).

فإذا أراد الإسراع في السير سارت عاصفة
وإذا أراد اللين سارت رخاء، والمقام قرينة
على أن المراد المواتاة لإرادة سليمان^(٣).

﴿وَتَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾
يعني: الشام بيت المقدس، وذلك أنها
كانت تجري لسليمان وأصحابه حيث شاء
سليمان، ثم تعود إلى منزله بالشام^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَسُلَيْمَنَّ الرِّيحَ غُدُوها

(١) صحيح البخاري ٩٩/١، كتاب الصلاة، باب
الأسير أو الغريم يربط في المسجد، رقم ٤٦١.

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي ٢٣٤/٤.

وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي
٣٢١/١١.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٢٣/١٧.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢١٢/٧.

معالم التنزيل، البغوي ٣٣٥/٥.

﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِجَاءَ حَيْثُ أَصَابَ﴾، وقوله: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾، يدل على التعميم في الأمكنة التي يريد الذهاب إليها على الريح، فقوله: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: حيث أراد. أما الجواب عن السؤال الأول فمن وجهين:

الوجه الأول: أنها عاصفة في بعض الأوقات، ولينة رخاء في بعضها بحسب الحاجة، كأن تعصف ويشد هبوبها في أول الأمر حتى ترفع البساط الذي عليه سليمان وجنوده، فإذا ارتفع سارت به رخاء حيث أصاب.

الوجه الثاني: هو ما ذكره الزمخشري قال: «فإن قلت: وصفت هذه الريح بالعصف تارة بالرخاء أخرى، فما التوفيق بينهما؟ قلت: كانت في نفسها رحية طيبة كالنسيم، فإذا مرت بكرسيه أبعدت به في مدة يسيرة، على ما قال: ﴿غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْحُها شَهْرٌ﴾، فكان جمعها بين الأمرين: أن تكون رخاء في نفسها، وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان، وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم»^(١).

وأما الجواب عن السؤال الثاني: فهو أن قوله: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ يدل على أنها تجري بأمره حيث أراد من أقطار الأرض، وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾؛ لأن

مسكنه فيها وهي الشام، فترده إلى الشام، وعليه فقوله: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ في حالة الذهاب، وقوله: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ في حالة الإياب إلى محل السكنى؛ فانفكت الجهة فزال الإشكال^(٢).

والأصل أنها ريح عاصف شديدة؛ ولما كانت مسخرة لسليمان عليه السلام كان زمام أمرها بيده، فلا تراها تسير إلا في أمور الخير.

(٢) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٤/ ٢٣٥.

(١) الكشف، ٣/ ١٣٠.

ثم أرسل الله عز وجل على الأحزاب ريحا شديدة الهبوب قوية حتى لم يبق لهم خيمة ولا شيء، ولا توقد لهم نار ولا يقر لهم قرار، حتى ارتحلوا خائبين خاسرين^(٢). والرياح المذكورة هنا: هي ريح الصبا، وكانت باردة وقلعت الأوتاد والأطناب، وسفت التراب في عيونهم، وماجت الخيل بعضها في بعض وهلك كثير من خيلهم وإبلهم وشائهم^(٣).

وبسبب تلك الرياح وتلك الجنود ردّهم الله عز وجل بغیظهم وكفى الله عز وجل المؤمنين القتال^(٤).

ولذا جاء عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (نصرت بالصبا، وأهلك عاد بالدهور)^(٥).

فالمسلمون إذا استمسكوا بالدين غلبوا الأعداء، وهذا الذي ذكر الله يوم الخندق شيئاً ما كان في حسابهم، وما كانوا يظنون، فهو أمر إلهي من الله... فالحاصل: أن القرآن لا يأمر بالتكاسل والتواكل، بل إنما يأمر بالقوة والاستعداد لكل هجوم، والتمسك به أيضاً لو بوغت قبل أن يستعد،

الزمخشري ٥٢٦/٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٤٤/٦.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٧٩/٢١.

(٤) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٢٣٥/٦.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا، ٣٤/٢، رقم ١٠٣٥.

الرياح جند من جنود الله تعالى

من المعاني التي جاءت في القرآن الكريم مختصة بالرياح، معنيان مهمان:

الأول: نصرة عباد الله المؤمنين بمساعدة الرياح لهم.

والثاني: هلاك الكافرين بتسليط الرياح عليهم.

وبيان ذلك في النقاط الآتية:

أولاً: الرياح نصرة للمؤمنين:

وذلك في قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].

يقول تعالى ذكره: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ التي أنعمها على جماعتكم، وذلك حين حوَصِر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الخندق ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾: جنود الأحزاب: قريش، وغطفان، ويهود بني النضير، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ وهي فيما ذكر: ريح الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق، حتى كفأت قلوبهم على أفواهاها؛ ففُضِرَ الله وجوه أعدائه بالرياح، فهزَمَهم الله بالرياح^(١).

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٢١٤/٢٠، معالم التنزيل، البغوي ٣٢١/٦، الكشف،

أي: بغيث نحيا به، ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي: قال هود: بل هو ﴿مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ أي: من العذاب ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).

والريح التي عذبوا بها؛ نشأت من ذلك السحاب الذي رأوه، وخرج هود من بين أظهرهم... قال ابن عباس: أول ما رأوا العارض قاموا فمدوا أيديهم، فأول ما عرفوا أنه عذاب رأوا ما كان خارجا من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح ما بين السماء والأرض مثل الريش، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم، فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم، وأمر الله الريح فأمالت عليهم الرمال، فكانوا تحت الرمال سبع ليال وثمانية أيام حسوما، ولهم أنين، ثم أمر الله الريح فكشف عنهم الرمال واحتملتهم فرمتهم في البحر، فهي التي قال الله تعالى فيها: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ أي: كل شيء مرت عليه من رجال عاد وأموالها^(٣).

وقوله عز وجل: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِّنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾^(٤) [فصلت: ١٦].

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ قال بعضهم: وهي الشديدة الهبوب، وقيل: الباردة، وقيل: هي التي لها صوت، والحق

أو في حالة ضعف فإن الله يقوّيه وينصره على عدوه بالطرق التي يعلمها هو وحده، وإن لم تكن في حسابان المسلمين، كما نصر أهل الأحزاب بالريح وبيجنود لم يروها، نصرهم بالريح، كلما نصبوا -أي: جنود الكفر- خباء في البر نسفته الريح، وكلما وضعوا قدرا ليطبخوا فيه نسفته الريح، فبقوا مثلاً لا قرار لهم، لا كنّ يكنهم، ولا طعام يأكلونه، فاضطروا للفرار، حتى قال رئيسهم أبو سفيان بن حرب: ارتحلوا وأنا أول مرتحل^(١).

ثانياً: الرياح عذاب للكافرين:

جاءت الريح في القرآن الكريم تحمل معنى العذاب الذي عذب الله عز وجل به الكافرين، وذلك كما في قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرٌ أَمْ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥) [الأحقاف: ٢٤].

وهذا الحديث في شأن قوم عاد ﴿وَأَذْكُرْنَا عَادَ﴾ يعني هوداً، ﴿إِذْ أَنْذَرْنَاهُمْ بِالْأَحْقَافِ﴾ جمع حقف، وهو الرمل المستطيل المرتفع، كذبوا نبيهم؛ فلما جاءهم عذاب الله الذي استعجلوه، فأروه عارضاً في ناحية من نواحي السماء، متجها نحو مزارعهم ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ﴾ أي: سحاب ﴿عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا﴾

(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ٤٤٩/٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٠٦/١٦.

(١) انظر: العذب النمير، الشنقيطي ٥٥٠/٢.

والثوري: عاتية أي: شديدة الهبوب، وقال قتادة: عتت عليهم حتى نقت عن أفئدتهم، وقال الضحاك: صرصر باردة عاتية عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة، وقال علي وغيره: عتت على الخزنة فخرجت بغير حساب.

فسخرها عليهم ، أي: سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أي: كوامل متتابعات مشائيم^(٥).

وروي عن علي بن أبي طالب وابن عباس أنهما قالوا: إنه لم ينزل من السماء قطرة ماء إلا بمكيال على يد ملك ولا هبت ريح إلا كذلك إلا ما كان من طوفان نوح وريح عاد، فإن الله أذن لهما في الخروج دون إذن الخزان^(٦).

والريح في القرآن الكريم ما ذكرت أنها جاءت كعذاب أليم شديد متتابع إلا على قوم عاد، وذلك -والله أعلم- لأن الله عز وجل ذكر صفتهم في القرآن بأجمع وصف فقال عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلْنَا بِعَادٍ ۖ إِرْمَ دَاثِ الْعِمَادِ ۖ آلِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ ۚ﴾ [الفجر: ٦-٨].

يعني: مثل عاد، والهاء عائدة على عاد، وجائز أن تكون عائدة على إرم، وهي: بلدة كانت عاد تسكنها، وإنما عني بقوله:

أنها متصفة بجميع ذلك، فإنها كانت ريحا شديدة قوية ؛ لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم ، وكانت باردة شديدة البرد جدا، ابتداءوا العذاب في يوم نحس عليهم واستمر بهم هذا النحس سبع ليال وثمانية أيام حسوما حتى أبادهم عن آخرهم، واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة^(١).
إنها العاصفة الهوجاء المجتاحة الباردة في أيام نحس عليهم، وإنه الخزي في الحياة الدنيا، الخزي اللائق بالمستكبرين المتباهين المختالين على العباد^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ۚ﴾ [الذاريات: ٤١].
أي: ﴿وَفِي عَادٍ﴾ القبيلة المعروفة آية عظيمة، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ أي: التي لا خير فيها، حين كذبوا نبيهم هودا عليه السلام^(٣).

ووصفت بالعقم؛ لأنها أهلكتهم، وقطعت دابرهم، أو لأنها لم تتضمن خيرا ما، من إنشاء مطر أو إلقاح شجر^(٤).
وقوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا عَادَ فَأَقْبَلُكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۚ﴾ [الحاقة: ٦].

﴿فَأَقْبَلُكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ أي: باردة، قال قتادة والسدي والربيع بن أنس

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٥٤/٧.
(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٣١١٨/٥.
(٣) تفسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١١٨.
(٤) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٤٢/٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٢٥/٨.
(٦) المحرر الوجيز، ابن عطية ٣٥٧/٥.

خَلَقَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ
بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

﴿٦٦﴾ [الأعراف: ٦٩].

وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب والقوة والبطش الشديد، والطول المديد، والأرزاق الدارة، والأموال والجنات والأنهار، والأبناء والزروع والثمار، وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه، فبعث الله هودا عليه السلام إليهم، رجلا منهم رسولا وبشيرا ونذيرا، فدعاهم إلى الله وحده، وحذرهم نقمته وعذابه في مخالفته وبطشه... استمروا على تكذيب نبي الله هود ومخالفته وعناده، فأهلكهم الله وقد بين سبب إهلاكه إياهم في غير موضع من القرآن (٤).

ويكفي في وصفها قوله عز وجل:
﴿تَذَكَّرْ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا
مَسْكَنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾
[الأحقاف: ٢٥].

ولما كانوا مكذبين لرسولهم، صاروا بذلك مكذبين لجميع الرسل؛ واستحقوا هذا النوع من العذاب الأليم.

﴿لَمْ يَخْلَقْ مِثْلَهَا﴾ في العظم والبطش والأيد، وينحو ذا قال أهل التأويل (١).

فلم يصنع مثلها في البلاد؛ لأنها قوية ومحكمة، وهذا هو الذي غرهم وقالوا: من أشد منا قوة؟ (٢).

فكانوا من أشد الناس كفرا، وأقواهم جحودا، فأهلكهم الله عز وجل ليعتبر بذلك ويتعظ من كان دونهم.

فاستكبروا، أي: بغوا وعتوا وعصوا،
﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ أي: منوا بشدة تركيبهم وقواهم واعتقدوا أنهم يمتنعون بها من بأس الله، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي: أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها وإن بطشه شديد؛ فبارزوا الجبار بالعداوة وجحدوا بآياته وعصوا رسوله (٣).

وأخبر الله تعالى عن عبده ورسوله هود عليه السلام، أنه دعا قومه عادا، وكان قومه يسكنون الأحقاف، وهي جبال الرمل قريبا من حضرموت، من جهة بلاد اليمن، وكان زمانهم بعد قوم نوح، كما قال عز وجل:
﴿أَوْعِظْهُمْ أَنِ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ
مِنْكُمْ يُنذِرُكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٤٠٧/٢٤.

(٢) انظر: تفسير جزء عم، ابن عثيمين ص ١٧١،

تفسير جزء عم، مساعد الطيار ص ٨٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٥٤/٧.

(٤) انظر: المصدر السابق ١٣٨/٦.

الرياح في المثل القرآني

ضرب الله عز وجل أمثالا كثيرة في القرآن الكريم، بآيات كثيرة ومخلوقات عظيمة، تختلف بحسب سياقها في القرآن الكريم.

والمثل: والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر ويصوره، وعلى هذا الوجه ما ضرب الله تعالى من الأمثال، فقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١] (١).

وإذا نظرنا وجدنا أن القصد من ضرب الأمثال هي العظة والعبرة، واعتبار الإنسان بما يعرف ويشاهد أبلغ في العظة والخوف (٢).

وقد جاءت الريح في أمثال القرآن الكريم، كما سنجمله في النقاط الآتية:

أولاً: الرياح:

١. ضرب الرياح مثلاً للحياة الدنيا.

وذلك كما ورد في قوله عز وجل: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: ٤٥].

أي: فالتفت بسببه وتكاثف، حتى خالط

بعضه بعضاً، فشبّ وحسن وعلاه الزهر والنور والنضرة ﴿فَأَصْبَحَ﴾ أي: بعد ذلك الزهو ﴿هَشِيمًا﴾ أي: جافاً يابساً مكسوراً ﴿تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ أي: تفرقه وتنسفه ذات اليمين وذات الشمال كأن لم يكن، وهكذا حال الدنيا وحال مجرميها، فإن ما نالهم من شرف الحياة كالذي حصل للنبات من شرف النمو، ثم يزولون زوال النبات، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ أي: على كل من الإنشاء والإفناء كامل القدرة (٣).

وعبر عن هذا المعنى بـ ﴿تَذْرُوهُ﴾، لما في ذرا، يذرو من معنى الارتفاع، والسرعة. يقال: ذرا فلان يذرو: ارتفع، ومزماً سريعاً، ومنه سميت الرياح بالذاريات. قال تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ [الذاريات: ١]، وإنما سميت بذلك؛ لأنها تحمل التراب، أو الهشيم عالياً، وتفرقه بسرعة في كل جهة؛ بحيث يستحيل إعادته كما كان (٤).

وتدل الآية على زينة الدنيا الخادعة من الأموال والضياع والجاه والرئاسة والملك وأن الإنسان ينخدع ويغتر بها مع أنها كما يرى دائماً من نبات الأرض الذي لا يدوم فإما الموت أو الآفات وتنغيص الحياة (٥).

(٣) محاسن التأويل، القاسمي ٣٨/٧.

(٤) الإعجاز اللغوي والبياني، علي الشحوذ ٤٧/١.

(٥) الفرقان في بيان إعجاز القرآن، عبد الكريم الحميد ٣٥/١.

(١) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٧٥٩.

(٢) المحرر في أسباب النزول، المزيني ٥٤٥/١.

والنبات لا ينمو ولا ينضج، ولكنه يصبح هشيما تذروه الرياح، وما بين ثلاث جمل قصار، ينتهي شريط الحياة، ولقد استخدم النسق اللفظي في تقصير عرض المشاهد، بالتعقيب الذي تدل عليه الفاء: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ فما أقصرها حياة! وما أهونها حياة! (١).

٢. ضرب الرياح مثلاً للبعث بعد الموت.

وذلك كما في قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَنِّي سَفَاكًا فَسَقْنَتْهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ۝١﴾ [فاطر: ٩٠].

فيخبر تعالى عن كمال اقتداره، وسعة جوده، وأنه ﴿أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَنِّي سَفَاكًا فَسَقْنَتْهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾؛ فأنزله الله عليها ﴿فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؛ فحييت البلاد والعباد، وارتزقت الحيوانات، ورتعت في تلك الخيرات، ﴿كَذَلِكَ﴾ الذي أحيا الأرض بعد موتها، ينشر الله الأموات من قبورهم، بعدما مزقهم البلى، فيسوق إليهم مطرا، كما ساقه إلى الأرض الميتة، فينزله عليهم فتحيا الأجساد والأرواح من القبور، ويأتون للقيام بين يدي الله ليحكم بينهم، ويفصل بحكمه العدل (٢).

فإن قلت: لم جاء فتير على المضارعة دون ما قبله، وما بعده؟ قلت: ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية، وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت، وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها: لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل: فسقنا، وأخيينا، معدولا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه (٣).

ومن الأغراض البلاغية: إخبار عن ماض بمستقبل لإبراز صورة معينة يريدها المتحدث، من ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَنِّي سَفَاكًا فَسَقْنَتْهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ۝١﴾ [فاطر: ٩٠].

فإنما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَتَنِّي﴾ مستقبلاً وما قبله وما بعده ماض ﴿أَرْسَلَ﴾ أفعال ماضية وتثير فعلاً مضارعاً، لذلك المعنى المراد وهو حكاية الحال التي يقع فيها إثارة الرياح السحاب، واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة (٤).

وهذه آية احتجاج على الكفرة في إنكار البعث من القبور، فدلهم تعالى على المثال

(٣) الكشف، الزمخشري ٦٠١/٣.

(٤) الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، مناهج الجامعة الإسلامية ص ٤٦٣.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/ ٢٢٧٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٦٨٥.

ثانيًا: الريح :

١. ضرب الريح مثلاً لإنفاق الكافرين.

وذلك كما في قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧].

يعني بذلك جل ثناؤه: شبه ما ينفق الذين كفروا، أي: شبه ما يتصدق به الكافر من ماله، فيعطيه من يعطيه على وجه القرية إلى ربّه وهو لوحداية الله جاحد، ولمحمد صلى الله عليه وسلم مكذب، في أن ذلك غير نافعه مع كفره، وأنه مضمحل عند حاجته إليه، ذاهبٌ بعد الذي كان يرجو من عائدة نفعه عليه، كشبه ريح فيها برد شديد، أصابت هذه الريح التي فيها البرد الشديد ﴿حَرْثَ قَوْمٍ﴾، يعني: زرع قوم قد أمّلوا إدراكه، ورجوا ريعه وعائدة نفعه، ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، يعني: أصحاب الزرع، عصوا الله، وتعذّبوا حدوده ﴿فَأَهْلَكَتْهُمْ﴾، يعني: فأهلك الريح التي فيها الصرّ زرعهم ذلك، بعد الذي كانوا عليه من الأمل ورجاء عائدة نفعه عليهم.

و﴿كَمَثَلِ رِيحٍ﴾ فيه حذف مضاف، تقديره: كمثّل مهلك ريح، أي: ما ينفقون

الذي يعاينونه وهو سواء مع إحياء الموتى، و«البلد الميت» هو الذي لا نبت فيه قد اغبر من القحط فإذا أصابه الماء من السحاب اخضر وأنبت فتلك حياته^(١).

وهبوب الرياح دليل ظاهر على الفاعل المختار وذلك لأن الهواء قد يسكن، وقد يتحرك وعند حركته قد يتحرك إلى اليمين، وقد يتحرك إلى اليسار، وفي حركاته المختلفة قد ينشئ السحاب، وقد لا ينشئ، فهذه الاختلافات دليل على مسخر مدبر ومؤثر مقدر... ووجه التشبيه بقوله: ﴿كَذَلِكَ النَّشُورُ﴾ فيه وجوه: أحدها: أن الأرض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الأعضاء تقبل الحياة، وثانيها: كما أن الريح يجمع القطع السحابية كذلك يجمع بين أجزاء الأعضاء وأعضاء الأشياء، وثالثها: كما أنا نسوق الريح والسحاب إلى البلد الميت نسوق الروح والحياة إلى البدن الميت^(٢).

وكثيرا ما يستدل تعالى على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها؛ ليعتبر المرتاب في هذا، فإنه من أظهر الآيات وأوضحها^(٣).

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية ٤/ ٤٣٠.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٦/ ٢٢٥.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي ٨/ ١٦١.

هالك، فريح مجرورة بالإضافة أيضًا، للدلالة على أن هذا الإنفاق لا يجدي^(١).

فكذلك فعل الله بنفقة الكافر وصدقته في حياته، حين يلقاه، يطل ثوبها ويخيب رجاؤه منها، وخرج المثل للنفقة، والمراد بـ «المثل» صنيع الله بالنفقة، فبين ذلك قوله: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾، فهو كما قد بينا في مثله قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧].

فتأويل الكلام: مثل إبطال الله أجر ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا، كمثل ريح فيها صر؛ وإنما جاز ترك ذكر إبطال الله أجر ذلك، لدلالة آخر الكلام عليه، وهو قوله: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾، ولمعرفة السامع ذلك معناه^(٢).

ومعنى الآية: مثل نفقة الكافرين في بطلانها وذهابها وعدم منفعتها، كمثل زرع أصابه ريح باردة أو نار؛ فأحرقته وأهلكته، فلم ينتفع أصحابه بشيء بعد ما كانوا يرجون فائدته ونفعه^(٣).

وما ينفق الكفرة قربة، أو مفاخرة وسمعة، أو المنافقون رياء أو خوفًا، ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ برد شديد والشائع إطلاقه للريح الباردة

كالصرصر، فهو في الأصل مصدر نعت به، أو نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد، ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعاصي أهلكته عقوبة لهم لأن الإهلاك عن سخط أشد، والمراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر؛ فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة، وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بإيلاء كلمة التشبيه للريح دون الحرث، ويجوز أن يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث^(٤).

٢. ضرب الريح مثلاً لأعمال الكافرين.

وذلك كما في قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَاحُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

هذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار الذين عبدوا معه غيره، وكذبوا رسله، وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح، فانهارت وعدموها أحوج ما كانوا إليها، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي: مثل أعمالهم يوم القيامة إذا طلبوا ثوابها من الله تعالى، لأنهم كانوا يحسبون أنهم كانوا على شيء فلم يجدوا شيئاً، ولا

(١) انظر: التبيان في إعراب القرآن أبو البقاء العكبري ١/ ١٤٧.

(٢) جامع البيان، الطبري ٧/ ١٤٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٤/ ١٧٨.

(٤) أنوار التنزيل، البيضاوي ٢/ ٣٤.

عاصف مشهود معهود، يجسم به السياق معنى ضياع الأعمال سدى، لا يقدر أصحابها على الإمساك بشيء منها، ولا الانتفاع به أصلاً، يجسمه في هذا المشهد العاصف المتحرك، فيبلغ في تحريك المشاعر له ما لا يبلغه التعبير الذهني المجرد عن ضياع الأعمال وذهابها بدذاً. فكما تعصف الرياح الشديدة بالرماد، وتذهب به في جهات هبوبها؛ كذلك تعصف رياح الكفر والنفاق بالأعمال، التي تكون لغير الله جل وعلا، وعلى غير طاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام^(٤).

ومشهد الرماد تشتد به الرياح في يوم عاصف مشهود معهود، يجسم به السياق معنى ضياع الأعمال سدى، لا يقدر أصحابها على الإمساك بشيء منها، ولا الانتفاع به أصلاً... وهكذا يلتقي المشهد المصور مع الحقيقة العميقة، وهو يؤدي المعنى في أسلوب مشوق موح مؤثر، ويلتقي معهما التعقيب: ﴿ذَلِكَ هُوَ أَضَلُّ أَلْبَعْدُ﴾^(٥).

٣. ضرب الرياح مثلاً في بيان حال المشرك بالله تعالى.

وذلك كما في قوله عز وجل: ﴿حُفَّاءَ

ألفوا حاصلًا إلا كما يتحصل من الرماد إذا اشتدت به الرياح العاصفة.

﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ أي: ذي ريح شديدة عاصفة قوية، فلم يقدرُوا على شيء من أعمالهم التي كسبوا في الدنيا إلا كما يقدرُونَ على جمع هذا الرماد في هذا اليوم^(١).

وعبر بالرماد، الذي هو أدق الأشياء وأخفها، إذا اشتدت به الرياح في يوم عاصف شديد الهبوب، فإنه لا يبقى منه شيئاً، ولا يقدر منه على شيء يذهب ويضمحل^(٢)، وهذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار، يريد: أنهم لا ينتفعون بأعمالهم التي عملوها في الدنيا لأنهم أشركوا فيها غير الله كالرماد الذي ذرته الرياح لا ينتفع به^(٣).

وقوله تعالى: ﴿اَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ كناية عن سرعة هذه الرياح وقوتها، يقال: اشتدت الرياح. أي: أسرع بقوة. وتعدية الفعل بالباء، دون تعديته بـ (على) يفيد أن هذه الرياح حملت الرماد، وأسَّرت الذهاب به، وبددته في جهات هبوبها؛ بحيث لا يقدر أحد على الإمساك بشيء منه، بخلاف قولنا: اشتدت عليه؛ فقد تشتد الرياح عليه، وهو ثابت في مكانه، لا يتبدد.

ومشهد الرماد تشتد به الرياح في يوم

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/٤١٨.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٢٤.

(٣) معالم التنزيل، البغوي ٤/٣٤٣.

(٤) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، علي الشحوذ ص ٤٢.

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/٢٠٩٤.

لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ. وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ
مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ
فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ [الحج: ٣١].

بيّن تعالى في هذه الآية الكريمة: أن من أشرك بالله غيره، أي: ومات ولم يتب من ذلك فقد وقع في هلاك، لا خلاص منه بوجه ولا نجاة معه بحال؛ لأنه شبهه بالذي خر، أي: سقط من السماء إلى الأرض، فتمزقت أوصاله، وصارت الطير تتخطفها وتهوي بها الريح فتلقياها في مكان سحيق: أي محل بعيد لشدة هبوبها بأوصاله المتمزقة، ومن كانت هذه صفته فإنه لا يرجى له خلاص ولا يطمع له في نجاة، فهو هالك لا محالة، لأن من خر من السماء إلى الأرض لا يصل الأرض عادة إلا متمزق الأوصال، فإذا خطفت الطير أوصاله وتفرق في حواصلها، أو ألقته الريح في مكان بعيد فهذا هلاك محقق لا محيد عنه، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من هلاك من أشرك بالله وأنه لا يرجى له خلاص، جاء موضعاً في مواضع آخر^(١).

فإنه من يشرك بالله شيئاً من دونه، فمثله في بعده من الهدى وإصابة الحق وهلاكه وذهابه عن ربه، مثل من خر من السماء فتخطفه الطير فهلك، أو هوت به الريح في مكان سحيق، يعني من بعيد... فهكذا مثل

المشرك بالله في بعده من ربه ومن إصابة الحق، كبعد هذا الواقع من السماء إلى الأرض، أو كهلاك من اختطفته الطير منهم في الهواء^(٢).

وأشارت الآية إلى أن الكافرين قسمان: قسم شركه ذبذبة وشك، فهذا مشبه بمن اختطفته الطير فلا يستولي طائر على مزعة منه إلا انتهبها منه آخر، فكذلك المذبذب متى لاح له خيال اتبعه وترك ما كان عليه، وقسم مصمّم على الكفر مستقر فيه، فهو مشبه بمن ألقته الريح في واد سحيق، وهو إيماء إلى أن من المشركين من شركه لا يرجى منه خلاص كالذي تخطفته الطير، ومنهم من شركه قد يخلص منه بالتوبة إلا أن توبته أمر بعيد عسير الحصول^(٣).

موضوعات ذات صلة:

الإهلاك، البشري، الرحمة، السحاب،
الماء، النبات

(٢) جامع البيان، الطبري ١٨ / ٦٢٠.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٧ / ٢٥٥.

(١) أضواء البيان، الشنقيطي ٥ / ٢٥٦.